بسم الله الرحمن الرحيم

رأي آخر
في
التراث والآثار

قبل عام كتبت ملاحظة لم تنشر على رأي لكاتب عربي بارز في كتاب "دليل الليالي العربية" لروبرت أوين، أحدث تقريظه لكتاب "ألف ليلة وليلة" في سلسلة الأعجاب الغربي به، وأخذ منه الكاتب العربي أنه "ألف ليلة وليلة" لم يحظ حقه من التقدير في موطنه.

وكان رأيي أنه هذا الكتاب لا يستحق التقدير في العالم الغربي وخاصة بين المسلمين، ولم يهتم به العرب القدوة في الدين او الادب لأنه كان منحطا من سقط المؤلفات بكل مقاييس الحكم الصحيح: لغة، وفنية، وخلقية شرعية، وتربوية، وانما مثله (وانه كان يقصر كثيرا) مثل "رباعيات الخيام" في الأدب الفارسي لم تنل حظوة تذكر في موطنها حتى ترجمها "فيتزجرالد" الى الانكليزية بنظمه الجميل الراقي (بالمقاييس الأدبية الحديثة)، فالقيمة الحقيقية للرباعيات تكمن في صياغة "فيتزجرالد" وليست في صياغة "عمر الخيام". وفي الغربية: القيمة الحقيقية للرباعيات إنما هي في صياغة أحمد رامي بشعره الرقيق السلس بالمغايرة للأصل، ويظهر صحة هذا الحكم عند المقارنة بين ترجمة أحمد رامي للرباعيات وترجمة أحمد الصافي النجفي الموافقة للأصل.

والواقع أن أكثر حكايات "ألف ليلة وليلة" ساذجة وساقطة ولا يصح دينا ولا خلقا ولا تربية ولا أدبا أن تقدم نموذجا فنيا صالحا للأبناء والأحفاد. ولكن المسلمين في العصور المتخلفة مستعدون لاتباع أي نموذج غربي (أو شرقي) في أي قضية فكرية، ولو كانوا ألصق بها وأقدر على الحكم عليها.

نعم! يمكن الاستفادة من التقنية والثقافة الغربية، وانتاج من البحوث الجادة المفيدة في الأمور الدنيوية، بل والدينية فقد أيد الله الباحثين المسلمين في تقنية علوم القرآن بمستشرق ألماني؛ فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن، ثم (في تقنية علوم السنة) بمستشرق هولندي؛

فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ الحديث أعانه على إخراجه ومولّه عدد من الأفراد والمؤسسات النصرانية. ولكنه أيّ من الشرع بل وأيّ من العقل: الاهتمام بورقة من المصحف من "جلد الغزال" يشتريها بمئات الألوف السذج من الأثرياء مما استخلفهم الله فيه لينظر كيف يعملون أو السذج من الموظفين على حساب الخزانة العامة، لو كان الحاكم قول الله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾؛ لأحبت المسرفين في طيبات الحلال المفيد من أمور الدين والدنيا، فكيف بالإسراف في القيم الخيالية فنية أو جمالية أو رياضية أو فلكية.

ليس من شرع الله في شيء، بل وليس من العقل في شيء هذا الدلال على "التراث والآثار" دينية أو دنيوية لمجرد مرور الزمن عليه أو قوله في مجتمع صناعي. ولئن كان الكافر معذوراً (وجنته في الدنيا) باللهو الخيالي فتحول مقطوعة "فالس بولير" من: "١٧ دقيقة من الأوركسترا بلا موسيقى" لما حكم على مؤلفها "رافل" بحكم مجتمع "فينا" الفني قبل ٧٠ سنة، إلى مقطوعة من الدرجة الأولى اليوم، وتلقى لوحة "ماتيس" في متحف نيويورك للفن الحديث ما تستحقه من الحفاوة والتقريظ والإعجاب مدة شهر ونصف وزوارها يلهون مئات الألوف من محترفي الفن وهواته ونقاده، ثم يتبين (بملاحظة غير فنية) أنها علقت مقلوبة طوال هذه الفترة. فما هو عذر المسلم الذي يتقرب إلى الله بغير شرعه، أو ينشر الفسوق والتفاهة باسم الأدب والفن، أو ينذر المال الخاص أو العام على التقليد الخيالي لثقافة ضالة؟

قال عمر رضي الله عنه: «إنما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم» وروي عنه أنه قطع شجرة بيعة الرضوان لما رأى من اهتمام بعض المسلمين بزيارتها أو الصلاة عندها، وفوق ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله عن دخول آثار الضالين إلا بالبكاء خشية الإصابة بمثل ما أصابهم، ولا شك أن تتبع آثار وتراث وثقافة الضالين في حاضرنا (لا فائدة تستدعي حاجة أو ضرورة) وسيلة للإصابة بمثل ما أصابهم من الانحراف والضلال عن سواء الصراط.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.